

ABSTRACT

The main theme of the science of qira'aat is the diversities in recitations of the Quran. It is based on the statement of the Holy Prophet *sallAllaho alaihi wasallam* that the Quran was revealed in seven *ahraf*.

Scholars have given various interpretations of the term *ahraf*. Allama Jalaluddin Suyooti has cited thirty five versions. But he has not attempted to synchronize them. The adversaries of Islam, who never miss an opportunity to find faults with the teachings of Islam, have tried to take benefit of these differences of opinion. They take the position that the wide differences of opinion in fixing the meaning of the term indicate that the Holy Prophet *sallAllaho alaihi wasallam* never gave this statement. They try to lead to the logic that the diversity of qira'aat does not go back to the Holy Prophet *sallAllaho alaihi wasallam*, and that the term is a fabrication of the lexists.

In this paper the author has tried to explain that these diversities are not opposed to one another. They have emerged as a result of the diverse trends of the times, peculiarities of the lands, and the academic levels of the scholars; and this is but natural. Therefore this is an unjustified pretext to refute the hadith the qira'aat. All interpretations are correct in their particular frames of reference.

أسباب الاختلاف في المراد بالأحرف السبعة

تاج أفسر*

لقد اتسع الخلاف في المراد من الأحرف السبعة إلى خمس وثلاثين قولاً، وكل قول يخالف الآخر. ومن ثم استدل من يخالف القراءات القرآنية بأن هذا التوسيع يتسبب لانتشار والتفرق بين الأمة. وجاءوا بحل ذلك إنكار هذه القراءات القرآنية. ففي هذه المقالة الوجيزة نتعرض لأسباب اختلاف العلماء في مسألة على وجه عام وفي الأحرف السبعة على وجه خاص. والحقيقة بأن الاختلاف على نوعين، اختلاف تناقض وتضاد واختلاف بيان وتوضيح. أما الأول فهو يتسبب للشكال في الوصول إلى الحقيقة. وأما الثاني فهو تعدد المفهوم دون المفهوم وذلك لاختلاف أحوال المخاطبين وتعدد الأماكن والأزمان وتنوع العلوم. وهذا النوع من الاختلاف فطري لا عيب فيه. بعد ذكر أسباب الاختلاف ننقل أراء العلماء في الأحرف السبعة ثم نجمع بينها ليتبين أن المراد واضح لا غبار عليه وهو غير مانع من فهم الحقيقة. وليس هو اختلاف تناقض وتضاد ، فنقول وبالله التوفيق.

أسباب الاختلاف

الاختلاف هو ضد الاتفاق، والمراد بذلك عند أهل العلم هي الآراء المتعددة في مسألة واحدة. وله أسباب ومقاصد.

أولاً: التوضيح. قد نجد كلمة غامضة يسهلها الآخرون بقصد التوضيح، فقبلية تعبير بكلمة، والأخرى تعبير بتعبير آخر ومرامهم واحد. ومثل ذلك ما رواه الحكم عن مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان لواء رسول الله ﷺ مع علي ز، ولواء الأنصار مع سعد بن عبادة ز.⁽¹⁾ بينما يروي عمر عن عثمان الجزار عن مسلم عن ابن عباس : إن راية رسول الله ﷺ مع علي، وراية الأنصار مع سعد بن عبادة.⁽²⁾ فعبر أحيانا بـ"لواء" وتارة بـ"راية" ولم يقصد بذلك إلا التوضيح وشرح المقصود، فليس الاختلاف جوهريا وإنما الخلاف لفظي والنسبة بينهما كنسبة المتن والشرح وليس التباين والتناقض.

ثانياً: اللغة. لا شك بأن اللغة العربية أكثر اللغات توسيعاً وأداة⁵

* الاستاذ المساعد، كلية الدراسات الاسلامية، الجامعة الاسلامية العالمية اسلام آباد

أسباب الاختلاف في المراد بالأحرف السبعة

لإبلاغ المراد، فقبيلة تقصد شيئاً والأخرى تقصد شيئاً آخر ويحمل كل منها على محله ولا يعتبر هذا تنافضاً. مثل ذلك في قوله تعالى: [وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَمَّنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ] (البقرة: 13) فالسفه هو الجاهل بلغة كنانة⁽³⁾، والسفه هو الخاسر بلغة طي⁽⁴⁾، ولو تعمق القاري فيه لوجد أن الخلاف لفظي فالجاهل خاسر ولا منافاة بين المعنيين.

ثالثاً: اختلاف الفهم والإدراك. فقد يفهم السامع من كلمة مفهوماً والأخر يأخذ مفهوماً آخر. مثل ذلك ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ لنا لما رجع من الأحزاب: {لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم بل نصل이 لم يرد منا ذلك، فذكر للنبي ﷺ فلم يعنف واحداً منهم} ⁽⁵⁾ ففهم كل واحد من الفريقين غير ما فهمه الآخر والنبي ﷺ حسن شأن كل واحد منهم.

رابعاً: اختلاف العرف والأزمان. كاختلاف السلف والخلف في مشابهه الصفات، فالسلف كانوا يفوضون معناها إلى الله تعالى لأنه لم يظهر أنداك المصطلحات اللغوية والفرق بلغة، فعندما شاعت هذه ووضحت الخلف معناها فقالوا بأن المراد من اليد هي القوة، والمراد من الاستواء الاستياء والقدرة، ⁽⁶⁾ وهذا الكلام على سبيل الاستعارة والكلنائية، بينما سئل الإمام مالك عن الاستواء فقال إن الاستواء معلوم والكيف مجهول. ⁽⁷⁾ فالخلاف بين السلف والخلف ليس جوهريا وإنما هو لفظي.

خامساً: اختلاف المخاطبين. فقد يكون سبب الاختلاف في الكلام بحسب جهل المخاطبين وعلمهم. فالنبي ﷺ علم الأمة طريق الخطاب المختلف لكل منها، فقد أكد بدخول الجنة من عمل عملاً صالحًا من أفساء السلام وإطعام الطعام وصلة الأرحام وصلة الليل كما أخرج الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن سلام أن النبي ﷺ قال: {أشروا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام} ⁽⁸⁾. وأحياناً فوض أمر المطهعين والعاصين إلى الله تعالى كما أخرج الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها وفيه : {يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم}. ⁽⁹⁾

سادساً: اختلاف طبائع الأفراد. فإذا كان الكلام له خلقيّة خاصة من جهة السائل يجاب عليه وفق طبيعته كما سئل النبي ﷺ : أي الأعمال أفضل؟ فأحياناً

أسباب الاختلاف في المراد بالأحرف السبعة

أجاب بقوله الإيمان بالله.⁽¹⁰⁾ وقد أجاب بقوله إدخالك السرور على مؤمن أشبعك جوعته أو كسوتك عريه أو قضيت له حاجة.⁽¹¹⁾ وقد أجاب بقوله : الصلاة لوقتها وبر الوالدين والجهاد في سبيل الله.⁽¹²⁾ فالنبي م أجاب عن سؤال كل واحد منهم بإجابة مختلفة لما رأى من شأن كل سائل مع أن السؤال واحد، وهو أي الأعمال أفضل؟.

فهذه أسباب الاختلاف التي ثبت فيها بأنها فطرية ولم يظهر فيها بأنها متناقضة

الاختلاف في المراد بالأحرف السبعة

كلمة "الأحرف" مشتركة وتطلق على عدة معان. و"السبعة" أيضا قد يراد بها الكثرة وقد يقصد بها العدد المعين. أما الأحرف فهو جمع حرف يأتي بمعنى الأدوات التي يقصد بها الربط بين الإسمين أو إسم و فعل، كما يقال جئت من البصرة.⁽¹³⁾

والحرف هو قمة الجبل، يقال : ترى له حرفا دقيناً مشيناً على سوء ظهره.⁽¹⁴⁾ والحرف من الإبل السابق على غيره. وفلان على حرف من أمره أي على ناحية وطرف بمعنى أنه متطرف في أمره. ومنه قوله تعالى: [وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ] (الحج : 11) وفسره بقوله : [فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ أَطْمَأْنَ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ شَرٌّ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ] (الحج : 11). والحرف يطلق على وجه من أوجه اللغة وعلى القراءة أيضا، كما يقال: حرف ابن مسعود ، وحرف أبي بن كعب ، وأي قراءتهما.⁽¹⁵⁾

أما السبعة، فقد يقصد بذلك الكثرة وقد كثر استعماله عند العرب، وقد قال الله تعالى : [مَتَّلُ الَّذِينَ يَنْفَعُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَّلَ حَبَّةً أَبْنَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ]
(البقرة : 261). وفي الحديث: {فالصيام لي وأنا أجزي به، كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف}⁽¹⁶⁾ فالمراد منه التوسيع في الجزاء.⁽¹⁷⁾

تعدد الأقوال في مفهوم الأحرف السبعة

لقد نقل السيوطي عن ابن حيان البستي (354 هـ) خمسة وثلاثين قولا. ذكرها بالإجمال ثم نقارن بينها لتتبين الحقيقة.

1. قال القاضي عياض (544 هـ) بأن المراد منه التوسيع وليس عدد السبعة بالضبط.⁽¹⁸⁾ ورجحه الإمام شاه ولی الله الدهلوی (1763 م)⁽¹⁹⁾ ويميل إليه المفسر جمال الدين القاسمي من العلماء المعاصرین حيث يقول: والأظہر ما ذكرنا من إرادة الكثرة من السبعة لا التحدید.⁽²⁰⁾

2. قال أبو جعفر محمد بن سعدان النحوي (213 هـ) بأن حديث {أنزل القرآن على سبعة أحرف} من المشكل الذي لا يدرى معناه.⁽²¹⁾ ويرجحه

أسباب الاختلاف في المراد بالأحرف السبعة

الإمام السيوطي حيث يقول: والمختار عندي أنه من المتشابه الذي لا يدرى معناه.⁽²²⁾

3. قيل بأن المراد من الأحرف السبعة هي الأمور التي تتعلق بالاعتقاد والأعمال مثل:

- أ. علم التوحيد
- ب. علم الرسالة
- ج. علم الصفات (كون الله خالقا رازقا وغير ذلك)
- د. علم الصفات التي تتعلق بالمغفرة والعذاب، ككونه جبارا فهارا غفارا وغير ذلك
- ه. علم بدء الكون
- و. علم الأفعال، كالصلوة والزكاة والصوم والحج
- ز. علم أحوال الجنة والنار⁽²³⁾

ولا شك بأن القرآن العظيم يشتمل على الأمور المذكورة وقائله ليس بمحضه، إلا أنه لم يرد بذلك تحديد الأحرف السبعة، بل قصد بذلك العلوم التي يحتوى عليها القرآن العظيم، والدليل عليه قوله عليه السلام: {فاقرءوا ما تيسر منه} لأن الأمور المذكورة تتعلق بالمعاني لا بالمباني.

4. المراد بالأحرف السبعة هي أصول الاستنباط السبعة كالتالي:

- أ. المطلق والمقييد
- ب. العام والخاص
- ج. النص والظاهر
- د. الناسخ والمنسوخ
- ه. المجمل والمفسر
- و. الحقيقة والمجاز
- ز. الاستثناء وأقسامه⁽²⁴⁾

5. إن المراد من الأحرف السبعة هي مظاهر التزكية السبعة، وهي المصطلحات التي يستخدمها الصوفية:

- أ. الزهد والاقناع
- ب. خدمة البشر
- ج. الكرم والجود
- د. المجاهدة ضد النفس
- ه. الخوف والرجاء
- و. الصبر على الصعوبات والصبر على الراحة
- ز. التقرب إلى الله والحب إليه⁽²⁵⁾

6. المراد من الأحرف السبعة هي أنواع الأحكام السبعة كالتالي:

- أ. الأمر
- ب. النهي
- ج. الوعد
- د. الوعيد
- هـ. الحال
- وـ. الحرام
- زـ. الضرب والأمثال ⁽²⁶⁾

لو تعمقنا في هذه الأقوال وجدنا أن الآراء كلها صحيحة ولا منافاة بينها، إذ الأمور المذكورة قد تكلم عنها القرآن الكريم على أتم وجه. ولكن في كونها مصداقاً لقوله عليه السلام: {أنزل القرآن على سبعة أحرف} نظر لأن السياق في مفهوم الكلام، وهذا الحديث يدل على مفهوم الكلام وشنان بينهما، فمن الظاهر أن قائلها كانوا يعلمون تلامذتهم ضمن تخصصاتهم إلا أن المدونين من العلماء الحقوقها بما قيل في بيان المراد من الأحرف السبعة. والأصل بأنه لم يقصد من ذلك شرح الأحرف السبعة.

7. أنواع التغير السبعة

لقد ذكر السيوطي سر حمه الله أقوالاً تتعلق بأنواع التغير في وجوه الأداء باختلاف يسير بين قائلها، فمنها:

أ. قول أبي حاتم السجستاني ⁽²⁷⁾: فيقول بأن المراد من الأحرف السبعة أنواع التغير السبعة وهي كالتالي:

1) ابدال كلمة بأخرى، كقوله تعالى: [كَالْعِهْنَ الْمَنْفُوشَ] (القارعة) :
5) قرأ عبد الله بن مسعود "كالصوف المنفوش". وفي قراءة متواترة "فتبنوا" في قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبِنُوا] (النساء : 94) من البيان، بينما قرأه حمزه والكسائي فثبتوا من الثابت.

2) ابدال حرف بحرف آخر كما أن أهل حمير كانوا يبدلون لام التعريف ميم، فمرة جاء منهم أناس إلى رسول الله ﷺ فسألوا أمن أمير الصيام في امسفر، وأرادوا : أمن البر الصيام في السفر، فأجاب النبي ﷺ: {ليس من أمير الصيام في امسفر} أي ليس من البر الصيام في السفر. ⁽²⁸⁾ وهذيل كانوا ينطقون الحاء عينا، فيقرعون "على" عين مكان حتى حين ⁽²⁹⁾ وقرأ حمزة والكسائي هنالك تتلووا مكان تبلوا. ⁽³⁰⁾

أسباب الاختلاف في المراد بالأحرف السبعة

(3) التقديم والتأخير، وهو شائع عند العرب، فيقولون عرضت الناقة على الحوض، وعرضت الحوض على الناقة، ويقصدون منها معنى واحداً، وقرأ الإمام حمزة والكسائي "فَيُقْتَلُونَ" ببناء للمجهول، ويقتلون بالبناء للمعلوم (التوبه : 111) خلاف ما قرأه غيرهما من آئمة القراءات بالبناء للمعلوم في الأول وعكسه في الثاني.⁽³¹⁾

(4) النقص والزيادة، في قوله تعالى: [فَأَصَدَّقَ وَأَكْنَى مِن الصَّالِحِينَ] (المنافقون : 10) قرأ أبو عمرو البصري [فَأَصَدَّقَ وَأَكْنَى مِن الصَّالِحِينَ]⁽³²⁾.

(5) الاختلاف في حركات البناء. ففي قوله تعالى: [الَّذِينَ يَنْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ] (النساء : 37) قرأ الإمام حمزة والكسائي "بِالْبُخْلِ" بفتحتين على الباء والخاء.⁽³³⁾

(6) الاختلاف في إعراب الكلمة. فبنوا حارث بن الكعب يقرءون الرفع والنصب والجر بالألف في المثنى فيقولون جاءني رجال، رأيت رجال، مررت برجلان، بينما الآخرون يرفعون بالألف وينصبون ويجرون بباء اللين، فيقولون : جاءني رجالان، رأيت رجلين، مررت برجلين.⁽³⁴⁾ وفي القراءة المتواترة قرأ به الإمام نافع، وابن عامر الشامي، وشعبه، وحمزة، والكسائي فيقولون: "إِنْ هَذَا لِسَاحِرَانْ" بدل "إِنْ هَذِينْ".⁽³⁵⁾

(7) الاختلاف في اللهجات والأداء. فمن أهل اللغة من يميل ومنهم من لا يميل، ومنهم من يدعم ومنهم من يظهر.

بـ. رأى ابن قتيبة⁽³⁶⁾ والباقلاني⁽³⁷⁾. بما يقولان بما قال به السجستاني باختلاف يسير بينهما وهو كالتالي :

1) ما يتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته، مثل: [وَلَا يُضَارُ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ] (البقرة : 282).

2) ما يتغير بالفعل. مثل : فقالوا ربنا بعَدَ بصيغة الماضي- وباءِ - بصيغة الأمر -.

3) ما يتغير باللفظ. مثل : "نشرها" و"نشرها" (البقرة : 259)

4) ما يتغير ببدل حرف قريب المخرج، مثل : [وَطَلَحَ مَنْضُودٌ] (الواقعة : 29) و"طلع منضود".

5) ما يتغير بالتقديم والتأخير، مثل : [وَجَاءَتْ سَكَرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ] -
وسكرة الحق بالموت (ق : 19).

6) ما يتغير بزيادة ونقص، مثل : الذكر والأنثى – بدل [وَمَا خَلَقَ
الذَّكَرَ وَالنِّسَاءَ] (الليل : 3).

7) ما يتغير بإبدال كلمة بأخرى، مثل : [كَالِعِهْنَ الْمَنْفُوشَ]
وكالصوف المنفوش (القارعة : 39).⁽³⁸⁾

ج. قول أبي الفضل الرازي⁽³⁹⁾، فلنوع التغيير عنده كالتالي:

- 1) اختلاف الأسماء بالإفراد والتثنية والجمع والذكر والتائث، نحو قوله تعالى: [وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ] (المعارج : 32)⁽⁴⁰⁾ فقرئ أماناتهم – بالإفراد.
- 2) اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر، مثل قوله تعالى: [بَاعَذَ بَيْنَ أَسْقَارِنَا] و"بعد بين أسفارنا" (سبأ : 19)
- 3) اختلاف وجوه الإعراب، مثل [وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ]
(البقرة : 282) بفتح الراء وضمها، فإن الرسم يحتملهما.
- 4) اختلاف النقص والزيادة، كما سبق ذكره.
- 5) الاختلاف بالتقديم والتأخير، كما سبق ذكره.
- 6) الاختلاف بالإبدال، وقد سبق ذكره.
- 7) اختلاف اللهجات بالتفخيم والترقيق والفتح والإملاء، والإظهار
والإدغام والهمز والتسهيل ونحو ذلك.⁽⁴¹⁾

د. قول ابن الجوزي⁽⁴²⁾، وجوه التغيير عنده كالتالي:

- 1) التغيير في الحركات بلا تغيير في المعنى والصورة، نحو: البخل –
بضم الباء وسكون الخاء، وقد قرئ بفتحهما.
- 2) التغيير في الحركات مع التغيير في المعنى فقط، نحو: [فَلَقَ آتُمْ
مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ] (البقرة : 37) برفع آتم ونصب كلمات جرا على
أنه جمع المؤنث السالم، وقد قرئ بمنصب الأول ورفع الثاني.
- 3) التغيير في الحروف مع تغيير في المعنى دون الصورة، نحو: تبلوا
وتتلوا (يونس : 30).
- 4) التغيير في الحروف مع تغيير في الصورة دون المعنى، نحو:
الصراط، والسراط.

أسباب الاختلاف في المراد بالأحرف السبعة

5) التغير في الحروف مع التغير في المعنى والصورة معا، نحو:
فامضوا، وفاسعوا.

6) التقديم والتأخير، على نحو ما قال ابن قتيبة وأبو الفضل الرازي.

7) الزيادة والنقصان، على نحو ما قالوا.⁽⁴³⁾

المقارنة بين الآراء المذكورة

لو بحثنا في الأقوال الأربع الأخيرة، لوجدنا أن الفرق بينها ليس فرقا جوهريا، وإنما هي تعبيرات مختلفة تؤدي مفهوما واحدا ويوضح كل واحد ما قاله الآخر.⁽⁴⁴⁾ ومما يؤيد هذا :

أولا: الترتيب الزمانى، فقد توفي ابن حاتم السجستانى عام 248هـ، وتوفي ابن قتيبة 276هـ، وقد تلمذ على السجستانى أيضا.⁽⁴⁵⁾

ثانيا: توفي الباقلانى عام 403هـ، بينما توفي أبو الفضل الرازي في نفس القرن وهو عام 454هـ، وتوفي ابن الجزري عام 833هـ.

ثالثا: كلهم يتفقون على التقديم والتأخير والنقص والزيادة.

رابعا: أبو الفضل الرازي لم يزد على قول ابن قتيبة إلا اختلاف اللهجات، وقد سبق بذلك السجستانى وهو شيخ ابن قتيبة.

خامسا: نرى التوافق التام بين ابن الجزري وابن قتيبة.

ذهب الجمهور من أهل القراءات بأن المراد من الأحرف السبعة هي اللغات السبعة، ثم اختلفوا في تلك اللغات التي نزل القرآن بها، فمنهم من قال هي متفرقة لجميع العرب كل حرف منها لقبيلة مشهورة، ومنهم من قال: بعضه نزل بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة هوازن وغير ذلك.

وقد ذهب إليه الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام⁽⁴⁶⁾ ناقلا عن ابن عباس رضي الله عنهما وثعلب⁽⁴⁷⁾ والزهري⁽⁴⁸⁾ وجمهور أهل اللغة⁽⁴⁹⁾.

هذه هي أهم الأقوال التي ذكرها الإمام السيوطي في كتابه "الإنقان" وبيدو من الظاهر أن الاختلاف إلى هذا الحد يشوش ذهن القاريء حتى لا يصل إلى نتيجة ما، والحقيقة بأن الأقوال الواردة في الباب كلها لا تخرج من خمس مجموعات، نذكرها أولا ثم نعقبها بالتوافق والجمع بينها.

المجموعة الأولى: من العلماء من قال :

(1) إنه من المشكل الذي لا يدرى معناه، كما مرّ سابقاً.

(2) المراد من الأحرف السبعة هي الكثرة وليس الحصر في السبعة.

المجموعة الثانية: وهذه تشتمل على تذوق أهل الكلام:

(1) فمن المتكلمين من قال : إن العلوم في القرآن سبعة، وهي : علم الإنشاء والإيجاد، وعلم التوحيد والتنزية، علم صفات الذات، علم صفات الفعل، علم العفو العذاب، علم الحشر والحساب، وعلم النبوات.

(2) ومنهم من قال: علم التوحيد، علم الرسالة، علم الصفات الكونية، علم الصفات المتعلقة بالمغفرة والعذاب، علم بده الكون، علم الافعال، علم أحوال الجنة والنار.

(3) ومنهم من قال: هي آية في صفات الذات، آية تفسيرها في آية أخرى، آية بيانها في السنة الصحيحة، آية في قصة الأنبياء والرسل، آية في خلق الأشياء، آية في وصف الجنة، آية في وصف النار.

(4) ومنهم من قال: هي أسماء رب سبحانه وتعالى، مثل: الغفور، الرحيم، السميع، البصير، العليم، الحكم، العزيز.

(5) ومنهم من قال: آية في وصف الصانع، آية في وصف الوحدانية له، آية في إثبات صفاتـه، آية في إثبات رسـله، آية في إثبات كتبـه، آية في إثبات الإسلام، آية في نفي الكفر.

(6) ومنهم من قال: هي سبع جهـات من صفاتـ الذاتـ اللهـ التي لا يقعـ عليها التكـييفـ.

(7) ومنهم من قال : إن الأحرف السبعة هي : الإيمان بالله، مبـاينةـ الشـرـكـ، إثـباتـ الأوـامرـ، مـجاـنـةـ الزـواـجـ، الثـبـاتـ عـلـىـ الإـيمـانـ، تحـرـيمـ ما حـرـمـ اللهـ، طـاعـةـ رـسـولـ اللهـ⁽⁵⁰⁾.

هذه الأقوال صحيحة في حد ذاتها، ولكنه ليس عندنا دليل لأن يثبت بأنها توضـيـحـ الأـحـرـفـ السـبـعـةـ الـوـارـدـةـ فـيـ الـحـدـيـثـ النـبـوـيـ pـ فـيـ قـوـلـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ : {أـنـزـلـ الـقـرـآنـ عـلـىـ سـبـعـةـ أـحـرـفـ}. بل المتـبـادرـ أنـ المـدوـنـينـ مـنـ الـعـلـمـاءـ لـمـ يـحـاطـواـ فـيـ إـلـاحـقـ الـأـمـورـ الـعـلـمـيـةـ بـعـضـهاـ بـعـضـ. وـالـأـصـلـ أـنـ هـذـهـ الـأـقـوـالـ قـالـ بـهـاـ الصـوـفـيـةـ مـنـ الـفـلـاسـفـةـ، وـهـذـاـ مـجـالـ تـخـصـصـهـمـ وـهـوـ مـذـكـورـ فـيـ كـتـابـ اللهـ تـعـالـىـ إـلـاـ نـكـونـ كـلـهـ مـفـهـومـاـ لـلـأـحـرـفـ السـبـعـةـ فـيـ نـظـرـ، وـلـمـ يـثـبـتـ بـالـقـانـتـيـ ذـلـكـ اـدـعـوـهـاـ.

المجموعة الثالثة: ما قال به أهل الأصول باختلاف يسير بينهم وهي كـالـآـتـيـ:

(1) المراد من الأحرف السبعة هي محـكـ، مـتـشـابـهـ، نـاسـخـ، مـنـسـوـخـ، خـصـوصـ، عـمـومـ، قـصـصـ.

أسباب الاختلاف في المراد بالأحرف السبعة

(2) مقدم، مؤخر، فرانض، حدود، مواعظ، متشابه، أمثل.

(3) هي سبع جهات لا ينطعها الكلام، لفظ خاص أريد به الخاص، لفظ عام أريد به العام، لفظ عام أريد به الخاص، لفظ خاص أريد به العام، لفظ يستغنى بتزيله عن تأويله، لفظ لا يعلم عنها إلا الراسخون.

المجموعة الرابعة : ما قال به الفقهاء، وهي كالآتي:

(1) الأحرف السبعة هي : أمر، نهي، أخبار، أمثل، وعد، وعيد، حلال، وحرام.

(2) زجر، أمر، حلال، حرام، محكم، متشابه، أمثل.

المجموعة الخامسة : ما قال به أهل التصوف، وهي : الزهد والقناعة مع اليقين والجزم، والخدمة مع الحياة والكرم، الفقر مع المجاهدة، المراقبة مع الخوف والرجاء، التضرع والاستغفار مع الرضا والشكر، الصبر مع المحاسبة والمحبة، الشوق مع المشاهدة.

هذا وما يقاربها من الآراء التي ذكرها السيوطي في الاتقان.

المجموعة السادسة : ما قاله أهل اللغة، وهي :

(1) الأحرف السبعة هي: التذكير والتأنيث، الشرط والجزاء، التصريف والإعراب، الأقسام وجوابها، الجمع والإفراد، التصغير والتعظيم، اختلاف الأدوات.

(2) الحذف والصلة، التقديم والتأخير، الاستعارة والتكرار، الكناية، الحقيقة والمجاز، المجمل والمفسر، الظاهر والغريب. هذا وما يشبهها مما ذكره السيوطي.⁽⁵¹⁾

المجموعة السابعة : ما ذهب إليه السجستاني وابن الجزمي، وغيرهم من وجوه التغاير والأداء.

والذي يظهر من هذه المجموعات كلها، أنها تختص بمقاييسها وفق تخصصاتهم. فالمتكلم تكلم عن الموضوعات القرآنية وحصرها في سبع نقاط في ضوء مصطلحاته الكلامية.

والأصولي تكلم عنها وحصرها في سبع نقاط في ضوء مصطلحاته الأصولية، وكذلك الصوفي والفقهي واللغوي. وهذا لا كلام فيه لأحد إنما الكلام إذا ألحق هذه بتفسير الأحرف السبعة التي نزل القرآن بها الواردة في الحديث النبوى. وهذا خطأ أهل الجمع والتدوين من العلماء بحيث اختلفوا بين المتعلق والغير المتعلق منها.

وما ذهب إليه السجستاني وأبن قتيبة والباقلاني وأبن الجزري وأمثالهم هو ليس تفسيرا للأحرف السبعة بل المراد منه وجوه التغاير التي يكلف القارئ أن يقرأ بها خلال قراءته للقرآن الكريم راعياً مذاهب أمنتها.

إذن المراد من الأحرف السبعة هي اللغات التي نزل القرآن بها لا غير، ولسنا مكلفين بتحديد هذه اللغات، يمكن أن يراد بذلك التوسيع لا الحصر في السبعة وهو شائع عند العرب.

قال أبو شامة المقدسي⁽⁵²⁾: أنزل القرآن أولاً بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء، ثم أبىح للعرب أن يقرءوه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها، عن اختلافهم في الألفاظ والإعراب، ولم يكلف أحداً منهم الانتقال عن لغته إلى لغة أخرى للمشقة، ولما كان فيهم من الحمية ولطلب تسهيل فهم المراد.⁽⁵³⁾

فذلك البحث

لقد علمنا في السطور الخالية أن المراد من الأحرف السبعة هي اللغات التي نزل القرآن بها وما قيل فيه غير ذلك لا يتعلق بموضوع الأحرف السبعة، وهو صحيح في حد ذاتها ولها علاقة عميقه بعلوم قائلتها لا بالأحرف السبعة، والاختلاف بين العلماء خلاف لفظي ناشئ من تعدد العلوم والأماكن والأزمان.

خلاصة الكلام في السطور

1. لقد أباح الله تعالى أن يقرأ القرآن الكريم في عدة لغات من لغات العرب وهو من باب التوسيع دون الحصر في السبعة.
2. الفرق بين لغات العرب من جهة الأداء والتغيير من حيث الابدال والتقديم والتأخير والإملاء والإدغام ونحو ذلك.
3. القراءات التي نقرأ بها ثابتة من النبي م سمعاً وهي من تلك اللغات، ولذلك قد اختلف عمر م مع هشام وهما قرشيان.
4. صورة هذه القراءات هو وجوه تغير الكلمات والأداء كما قال بذلك السجستاني وأبن قتيبة وأبن الجزري وغيرهم.
5. مقصود القرآن الكريم هو هداية البشرية، ولذلك يحتوى على الأوامر والنواهي، والوعد والوعيد، والحلال والحرام، والأمثال ونحو ذلك، وهذه وظيفة الفقهاء ولا علاقة له بالأحرف السبعة.
6. لمعرفة طرق الاستبطاط من القرآن الكريم لا بد من العلم بالمصطلحات الأصولية من الحقيقة والمجاز، والمجمل والمفسر، والناسخ والمنسوخ، ونحو ذلك، وهذه وظيفة الأصوليين ولا علاقة له بالأحرف السبعة.

أسباب الاختلاف في المراد بالأحرف السبعة

7. القرآن يريد من الإنسان أن يتحلى بالأوصاف الحميدة من الاستغفاء والزهد، والقناعة والكرم والصبر وخدمة البشرية. وهذه وظيفة الصوفية ولا علاقة له بالأحرف السبعة.

8. تحديد معنى الأحرف السبعة من المتشابهات بحيث لا مجال لغير أهل العلم أن يتعرضوا لها وإنما يختص بأهل العلم أن يتكلموا عن تحديد مفهومه.

9. الاختلاف في تحديد معنى الأحرف السبعة ليس حقيقة بل هو صوري مما لا ينبغي أن يشوش على القاريء.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه

الهوامش

- (1) ابن حجر العسقلاني (852 هـ) الإصابة في معرفة الصحابة، مطبعة السعادة، القاهرة 1328 هـ، 152/4.
- (2) أحمد بن حنبل (241 هـ) مسنون عبد الله بن عباس، مؤسسة قرطبة، القاهرة، بدون سن الطبع، 339/7.
- (3) يقال لهم بنو كنانة أيضاً، ويقال كنانة طلحة كانت لهم علاقات مع قريش، الفلقشندى (821 هـ) أحمد بن علي الفرازى، نهاية الارب فى معرفة أنساب العرب، القاهرة، 134/1.
- (4) أصله طاء مأخوذ من طوة فأبدلت الواو ياءاً نسبة إلى طي ابن أدر. سلمه بن مسلم بن ابراهيم الصحاري من علماء القرن الخامس، كتاب الأنساب، بيروت، طبع 2005م، ص 102. وانظر: ابن حسنو (386هـ) عبد الله بن الحسين، اللغات في القرآن، ط القاهرة، بدون تاريخ، ص 1.
- (5) البخاري محمد بن إسماعيل (256هـ) الجامع الصحيح، حديث رقم 894 باب صلاة الطالب والمطلوب.
- (6) الرازى (606هـ) محمد بن عمرأبو عبد الله فخر الدين، مفاتيح الغيب، بيروت، لبنان، 1990م. 10/353.
- (7) الغزالى، (505هـ) محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الطوسي، الاقتصاد فى الاعتقاد، القاهرة، ص 16.
- (8) أحمد بن حنبل (241هـ) مسنون عبد الله بن سلام ، 451/5.
- (9) مسلم بن حجاج (261هـ) صحيح مسلم، كتاب القدر، حديث رقم 4813.
- (10) النسائي (303هـ) أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، السنن الكبرى، تحقيق: الدكتور عبد الغفار البندارى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبع أول 1991م، 14/3.
- (11) الطبرانى (360هـ) سليمان بن أحمد أبو القاسم، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله، دار الحرمين، القاهرة 1415هـ، معجم على بن سعيد 202/5.
- (12) نفس المصدر، معجم محمد بن أحمد 307/5.
- (13) ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (711هـ) لسان العرب، دار صادر، بيروت، 9 / 41-47.
- (14) نفس المصدر.

(15) ابن حجر العسقلاني (852هـ) فتح الباري على صحيح البخاري، ط القاهرة 220/13، 1978.

(16) مالك بن أنس إمام دار الهجرة (179هـ) الموطأ، باب جامع الصيام، حديث رقم 603.

(17) ابن البارود عبد الله بن علي (307هـ) المنتقى شرح الموطأ، دار الكتب العلمية، بيروت، 310/2.

(18) النووي يحيى بن شرف الدين (676هـ) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث، الطبعة الثانية 1392هـ، 174/1.

(19) شاه ولی الله، المسوى شرح الموطأ، مکة المکرمة، بدون سن الطبع 190/1.

(20) جمال الدين القاسمي (1332هـ) محسن التأویل. دار الفكر، طبع ثانی 1398هـ، 287/1.

(21) الزركشي، محمد بن بهادر بدر الدين (794هـ) البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط القاهرة، لا يوجد سن الطبع، 213/1.

(22) السيوطي جمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (911هـ) زهر الربى حاشية سنن النسائي المجتبى قديمي كتب خانه کراتشی، لا يوجد سن الطبع، 155/1.

(23) الزركشي، البرهان، 224/1.

(24) السيوطي، الإنقان في علوم القرآن، المكتبة الأثرية لاهور 1995م ص 146.

(25) نفس المصدر.

(26) محمد على سلامة، منهج الفرقان في علوم القرآن، دار المعارف، بيروت، بدون سن الطبع، ص 60.

(27) هو سهل بن محمد بن عثمان، من أعلام أهل البصرة في اللغة والأدب، توفي 248 من الهجرة، الأعلام للزرکلي 143/3.

(28) أحمد بن حنبل (241هـ) مسند كعب بن عاصم.

(29) ابن قتيبة (276هـ) تأویل مشکل القرآن، تحقيق: سید احمد صقر، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية 1391هـ، ص 38-40.

(30) عبد الفتاح القاضي (1404هـ) البدور الظاهرة في القراءات العشر المتواترة، طبع قراءات اکید می لاهور، بدون سن الطبع ص 142.

(31) نفس المصدر، ص 138.

(32) نفس المصدر، ص 319.

(33) نفس المصدر، ص 77.

(34) مكي بن أبي طالب الفيسي (437هـ) الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحجها، بتحقيق: الدكتور محي الدين رمضان، مجمع اللغة العربية دمشق سوريا 1972م، 99/3.

(35) البدور الراهن، ص 202.

(36) هو عبد الله بن مسلم الدينوري القاضي بها، من أئمة اللغة والأدب المتوفى 276هـ) الأعلام للزركلي، 137/4.

(37) محمد بن الطيب بن محمد، من مناظري الأشاعرة وإمامهم صاحب إعجاز القرآن المتوفى (403هـ) الأعلام للزركلي، 176/6.

(38) ابن فقية (276هـ) تأويل مشكل القرآن ص 36.

(39) هو أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن العجلي الرازى المقرى المتوفى في نيسابور (454هـ) الأعلام 294/3.

(40) البدور الراهن ص 215.

(41) محمد عبد العظيم الزرقاني (1376هـ) مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، بدون سن الطبع 138/1.

(42) هو محمد بن محمد بن علي الشيرازي المعروف بابن الجزري خاتمة المحققين في القراءات توفي (833هـ) الأعلام 45/1.

(43) ابن الجزري (833هـ) النشر في القراءات العشر، دار الفكر، بيروت 26/1-27.

(44) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (852هـ) فتح الباري شرح صحيح البخاري 25/9.

(45) ضياء الدين عتر الدكتور، الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها، دار الكتب العلمية بيروت، ص 126.

(46) أبو عبيد القاسم بن سلام الخراساني، إمام في القراءات واللغة والحديث والفقه، وله كتاب شهير يسمى كتاب الأموال، توفي (234هـ) ابن الجزري، غالية النهاية 18/2.

(47) ثعلب أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني، إمام الكوفيين في النحو واللغة، توفي 291هـ) الأعلام للزركلي 1/267.

(48) إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري أبو القاسم، وزير أندلسى من علماء اللغة والأدب توفي (441هـ) الأعلام للزركلي 1/61.

(49) الإنقان 1/53.

(50) الإتقان 1/52.

(51) انظر لهذه الأقوال كلها، الإتقان 1/51-54.

(52) هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي، مؤرخ محدث مقرئ تلمذ على السخاوي عن الإمام الشاطبي أبي القاسم بي فيره، وله شرح مشهور دقيق على القصيدة الشاطبية، توفي (665هـ) الزركلي الأعلام 3/299.

(53) السيوطي، الإتقان، 1/53.

المصادر والمراجع

1. ابن الجارود عبد الله بن علي (307هـ) المتنقى شرح الموطأ، دار الكتب العلمية، بيروت.
2. ابن الجزري (833هـ) النشر في القراءات العشر، دار الفكر، بيروت.
3. ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، دار الكتب العلمية بيروت 1985ء.
4. ابن حجر العسقلاني (852هـ) الإصابة في معرفة الصحابة، مطبعة السعادة، القاهرة 1328هـ.
5. ابن حجر العسقلاني (852هـ) فتح الباري على صحيح البخاري، ط القاهرة 1978م.
6. ابن حسنو (386هـ) عبد الله بن الحسين، اللغات في القرآن، ط القاهرة، بدون تاريخ.
7. ابن قتيبة (276هـ) تأویل مشکل القرآن، تحقيق: سید احمد صقر، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية 1391هـ.
8. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (711هـ) لسان العرب، دار صادر، بيروت.
9. أحمد بن حنبل (241هـ) مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة، بدون سن الطبع.
10. الزركلي، خير الدين (1976ء) الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، بيروت، لبنان 1984ء.
11. البخاري محمد بن إسماعيل (256هـ) الجامع الصحيح.
12. جمال الدين القاسمي (1332هـ) محسن التأویل، دار الفكر، طبع ثانی 1398هـ.
13. الرازي (606هـ) محمد بن عمر أبو عبد الله فخر الدين، مفاتيح الغيب، بيروت، لبنان، 1990م.

14. الزركشي، محمد بن بهادر بدر الدين (794 هـ) البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط القاهرة، لا يوجد سن الطبع.
15. سلمه بن مسلم بن ابراهيم الصحاري من علماء القرن الخامس، كتاب الأنساب، بيروت، طبع 2005م.
16. السيوطي جمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (911 هـ) زهر الربى حاشية سن النسائي المجتبى قديمي كتب خانه كراتشى، لا يوجد سن الطبع.
17. السيوطي جمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (911 هـ) الانقان في علوم القرآن المكتبة الأنثيرية لاهور 1995 م
18. شاه ولی الله، المسوی شرح الموطأ، مکة المکرمة، لا يوجد سن الطبع.
19. ضياء الدين عتر الدكتور، الأحرف السبعة ومتذلة القراءات منها . دار الكتب العلمية بيروت 1985ء
20. الطبراني (360 هـ) سليمان بن أحمد أبو القاسم، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله، دار الحرمين، القاهرة 1415هـ.
21. عبد الفتاح القاضي (1404 هـ) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ط قراءات اكيد می لاهور باكستان.
22. الغزالی، (505 هـ) محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الطوسي، الاقتصاد في الاعتقاد، القاهرة.
23. القلقشندي (821 هـ) أحمد بن علي الفرازی، نهاية الارب في معرفة أنساب العرب، القاهرة. لا يوجد سن الطبع.
24. مالک بن أنس إمام دار الهجرة (179 هـ) الموطأ.
25. محمد عبد العظيم الزرقاني (1376 هـ) مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة. لا يوجد سن الطبع.
26. محمد على سلامة، منهج الفرقان في علوم القرآن، دار المعارف، بيروت، بدون سن الطبع.
27. مسلم بن حجاج (261 هـ) صحيح مسلم.
28. مكي بن أبي طالب القيسى (437 هـ) الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، تحقيق: الدكتور محي الدين رمضان، مجمع اللغة العربية دمشق سوريا 1972م.
29. النسائي (303 هـ) أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، السنن الكبرى، تحقيق: الدكتور عبد الغفار البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبع أول 1991م.
30. النووي يحيى بن شرف الدين (676 هـ) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحاج، دار إحياء التراث، الطبعة الثانية 1392هـ.